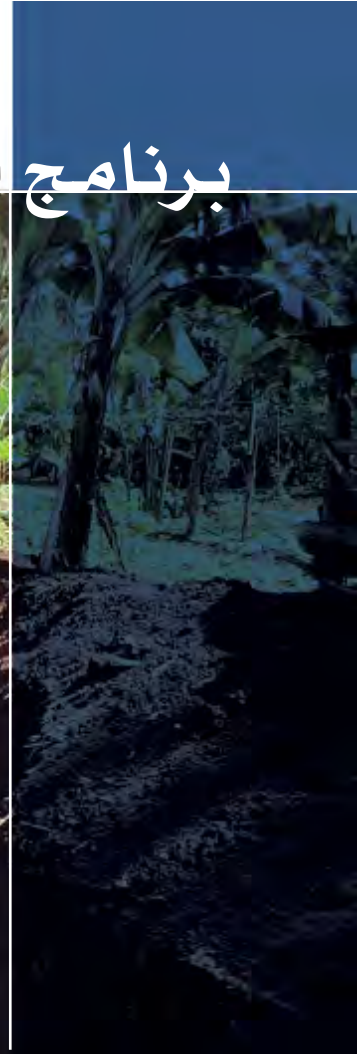


برنامج الفقر الريفي والبيئة



الإنصات يجدي

الباحثون الإفريقيون والمزارعون
يخبرونا عن الأسباب

بيتر بينيت

الموز هو مصدر رئيسي
لدخل الأسر في أوغندا.

من زراعة الموز في أوغندا، إلى مكافحة التصحر في منطقة الساحل، والباحثون يتعرفون على حاجتهم إلى تغيير مناهجهم في التصدي لقضايا الموارد الطبيعية. وبمساعدة "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا"، أخذوا في الاستعانة بالسكان المحليين كجنود يتصدرون الصفوف في مواجهة قضايا الموارد الطبيعية.

مع نهاية عقد التسعينيات، شعر الباحثون في برنامج بحوث الموز القومي في أوغندا NBRP بالإحباط. فالحلول التي وجدوها ذات فائدة في مواجهة مشكلة نقص إنتاجية الموز والتي نجحت في بيئة مركز البحوث المحكمة والخاضعة للمتابعة كانت أقل نجاحاً في حقول المزارعين.

والموز هو أحد الأطعمة الرئيسية في أوغندا، ومصدر رئيسي لدخل الأسرة. لكن منذ عقد السبعينيات وإنتاجه أخذ في التدهور نتيجة لتآكل الأرض، والأمراض، والآفات الزراعية، ونقص خصوبة التربة. ولهذا فإن فشل المزارعين الغامض في تدعيم معرفتهم العملية بنتائج الأبحاث العلمية لتحسين إنتاج الموز كان ذا خطورة وأهمية بالغين.

ثمة مشكلة بارزة في هذا المنهج القاضي بنقل المعلومات من أعلى إلى أسفل، وهي أن الاتصال في هذه الحالة يجري من اتجاه إلى آخر في اتجاه واحد، من الباحثين إلى العاملين الميدانيين ثم إلى المزارعين.

تحديد الأولويات

يتم اختيار "دوانيرو" وهي منطقة من مقاطعة في



جنوب أوغندا كموقع لتطبيق أبحاث "الاتصال التتموي بالمشاركة" لأنها أحد أهم مناطق زراعة

الموز في تلك المقاطعة، وحيث يمكن بلوغ التجمعات السكانية بالطريق البري، وكان الإنتاج هناك يعاني من مشكلات خاصة بإدارة التربة، مثل التآكل في التربة ونقص الخصوبة. وهكذا تأهب فريق برنامج بحوث الموز القومي للتعاون مع المزارعين المحليين لبلوغ حل لتلك المشكلات.

وتم البدء بإجراء لقاءات استشارية مع الزعماء المحليين، وفروع الوكالات، والمزارعين: لتقديم دعم عام للبحث في المجتمع المحلي. ثم تم إجراء مقابلات ونقاشات جماعية مع القرويين وغيرهم، تم فيها تحديد طبيعة مشكلات إدارة الموارد الطبيعية التي تتطلب حلولاً.

ووجد الفريق أن التربة تدهورت بسبب ارتفاع نسب الرعي عن المعدل المعقول، وحرق الأجمة، وممارسات الحرث الجائرة، والزراعة المستمرة بلا توقف على نفس البقعة من الأرض، وحرق الفحم والطوب. وكانت معوقات الإنتاج هي تناقص خصوبة التربة، والجفاف، والاستخدام غير المناسب للنفايات الحيوانية والمنزلية كسماد، وتآكل التربة. وكانت الموضوعات الأخرى محل النقاش هي ضعف نظام مد الأراضي، وارتفاع معدلات الفائدة، وفترة السماح القصيرة للغاية التي تمنحها مؤسسات الإقراض، وندرة المواد المستخدمة كأسمدة، وهجرة الشباب إلى المدن.

وفي مواجهة هذه التشكيلة المرعبة من المشكلات المعقدة، اتفق المزارعون في البداية على وجود ثلاث قضايا أكثر خطورة من غيرها، وهي مسألة خصوبة التربة، وإدارة الرطوبة، وتآكل التربة، ثم قسموا أنفسهم إلى مجموعات تركز كل منها على مشكلة. وبمساعدة الباحثين، تعرفت كل مجموعة على احتياجات الاتصال لديها وقامت بإعداد خطة للوفاء بتلك الاحتياجات.



وهكذا قرر فريق من برنامج بحوث الموز القومي في أوغندا أن يتحدى المنهج التقليدي في حل هذه المشكلة، مجرباً الاستعانة بتقنية بحثية جديدة تسمى "الاتصال التتموي بالمشاركة" واختصارها PDC.

من المنهج الرأسي إلى الأفقي

برنامج بحوث الموز القومي مكلف من جانب هيئة البحوث الزراعية القومية الأوغندية NARO بإجراء بحوث على الموز. حيث كان من المفترض على علماء المركز البحثي تحت متابعة هيئة البحوث الزراعية القومية أن يعدوا طريقة جديدة لزيادة إنتاجية محصول بعينه. ثم يتم نقل هذه المعلومات والمعرفة إلى العاملين الذين يزورون المزارعين ليعلموهم كيفية الاستعانة بالابتكارات الجديدة.

ثمة مشكلة بارزة في هذا المنهج القاضي بنقل المعلومات من أعلى إلى أسفل، وهي أن الاتصال في هذه الحالة يجري من اتجاه إلى آخر في اتجاه واحد، من الباحثين إلى العاملين الميدانيين ثم إلى المزارعين. ونادراً ما يتمكن المزارعون من تقديم آرائهم في الطرق والمناهج التي يتعلمونها.

أما منهج "الاتصال التتموي بالمشاركة" فيعتمد على الاتصال بين المزارعين والباحثين في قناة ثنائية الاتجاه. وتنتهج هذه المقاربة لمنهجاً أفقياً، يحاول ربط المزارعين بالعملية البحثية من البداية إلى النهاية. ويهدف منهج "الاتصال التتموي بالمشاركة" إلى تفعيل مشاركتهم في التعرف على المشكلات، والعثور على الحلول ثم وبطبيعة الحال إشراك المزارعين الآخرين في المعرفة الجديدة.

وطبقاً لما ذكره مدير برنامج بحوث الموز القومي "ويلبرفورس توشيميريروي"، فإن الباحثين تعرفوا إلى منهج "الاتصال التتموي بالمشاركة" بعدما شاركوا في شبكة "إيسانج باجسك"، وهي برنامج رائد قدمه "مركز البحوث للتسمية الدولية - كندا". و"إيسانج باجسك" هو اصطلاح فلبيني يعني "بلوغ الإجماع". والبرنامج يستعين بمقابلات تتم وجهاً لوجه، وأنشطة ميدانية، ونقاشات تجري على الإنترنت: لتأهيل الباحثين والمزارعين لتطبيق نظام "الاتصال التتموي بالمشاركة".

مزارعو دوانيرو راكاي يتبادلون المعلومات مع المجموعة.



بورا أدوي

أحد المزارعين وهو يفحص مع الباحث إحدى الأفات.



بلاوت مكاوي

ازدياد محاصيل الموز نتيجة استخدام تقنيات جديدة.

نتاج زراعة محاصيل الموز قد زاد نتيجة لتقنيات الإدارة الثلاث التي تعلموها من المشروع.

المعرفة الجديدة يسّر على المزارعين الوصول إلى المعلومات التي يحتاجونها بدلاً من تعقب ومتابعة عامل حكومي واحد يخدم منطقة إقليمية تشمل ٢٠٠ ألف شخص.

كما تم تقليل الجهد عن عاتق هذا العامل لأن من يقومون بمهمته قد "تضاعفوا"، وفي نفس الوقت فهو متوافر لتقديم المعلومات الداعمة للنشاط الجاري ولتقديم التدريب لمن يحتاجه.

وعلى الرغم من أنه كانت له تحفظات كثيرة مع بداية المشروع، فإن مدير برنامج بحوث الموز القومي - "ويلبرفورس توشيميريري" متحمس بشدة الآن لمنهج "الاتصال التدموي بالمشاركة"، إذ قال: "بما أنه شيء لم نجربه من قبل، فلم أقتنع أنه سيجدي نفعاً".

التعاون على الحلول العملية

بالعمل الجماعي اختار المزارعون والباحثون ثلاثة مناهج محلية لتحسين خصوبة التربة ومواجهة تآكلها، وهي التسميد بالفضلات، وحفر الخنادق، والتسميد العضوي. واقترح الباحثون إضافة نباتات للتسميد تضيف مواد مغذية إضافية للتربة. وأوضحوا كيف يتمكن المزارعون من تخفيض سرعة تدفق المياه بإحداث انحدار في الأرض عن طريق حفر خنادق بزاوية ٤٥ درجة. وساعدوا المزارعين على تحسين كفاءة الأسمدة العضوية التي يصنعونها بإضافة مواد طبيعية أخرى لزيادة خصوبة التربة.

ما إن نفذ المزارعون هذه التقنيات، حتى أعدوا خطة للاتصال يتشاركون فيها معرفتهم وينشرونها للمزارعين الآخرين، مستعينين في ذلك بوسائط مثل الفيديو، والكتيبات الإعلانية، والملصقات، والأشعار.

كما شكل المزارعون "اتحاد دوانيرو للمزارعين المتضامنين" DIFA واشتركوا فيه، وهو هيئة يتمكنون من خلالها من الاستمرار في التواصل مع الباحثين وغيرهم من المزارعين.

تحمس الجميع لمنهج الاتصال التدموي بالمشاركة

طبقاً لما ذكره رئيس اتحاد "دوانيرو" للمزارعين المتضامنين فإن: "يتمكن المزارعين الآن الجلوس والنقاش وبلوغ الحلول الخاصة بالمشكلات المشتركة". والأهم أنهم أعدوا أدوات الاتصال الخاصة بهم، والقادرة على توصيل معرفتهم الجديدة إلى المزارعين الآخرين. فعلى سبيل المثال، يدير "اتحاد دوانيرو للمزارعين المتضامنين" الآن برنامجاً أسبوعياً على راديو أوغندا الوطني لتمكين كل المزارعين الأوغنديين من التعلم من زملائهم في "دوانيرو".

وهناك نتيجة مهمة أخرى لاحظها الفريق البحثي وهي أن نتاج زراعة محاصيل الموز قد زاد نتيجة لتقنيات الإدارة الثلاث التي تعلموها من المشروع.

واكتسب المزارعون الثقة عن طريق مشاركة هذه الأساليب بواسطة زيارات للمزارع، وعرض الفيديو، والصور الفوتوغرافية، والتسجيلات الصوتية.

“أشعر بالزخم الذي خلقه منهج الاتصال التنموي بالمشاركة، وأعرف أنه سيستمر لأنه طريقة مؤثرة وفعالة نحل بها مشكلاتنا”.

في المحاصيل تصل إلى ٩٠٪. وبالنظر لنجاح تجربة "الاتصال التنموي بالمشاركة" في "دوانيرو"، قرر الباحثون تجربة فعالية هذا الأسلوب في التحكم في انتشار "هذه الآفة".

وبعد مضي عام من المشروع ومن العمل مع مزارعي الموز ورؤية الحماس والرضا في أعين المزارعين، أدركت أن منهج الاتصال التنموي بالمشاركة يعمل كما يجب وتحمست له بشدة وفرحت كثيراً.

وأضاف: "أعتقد أنه أفضل مشروع من بين المشروعات التي أدرناها في برنامج بحوث الموز القومي، وأفضل مشروع أراه قيد التنفيذ منذ توليت العمل هنا".

تورا أودوي



الانتشار

كنتيجة مباشرة لنجاح بحث زراعة الموز بالاستعانة بمنهج "الاتصال التنموي بالمشاركة"، يجري الآن التحضير لمشروعين آخرين.

وعلى جانبهم فإن مزارعي "دوانيرو" الذين يتحركون من خلال "اتحاد دوانيرو للمزارعين المتضامنين" مستمرين في تطوير أدوات الاتصال الخاصة بهم للوصول للمزارعين الآخرين. وإلى الآن شكلوا ٤١ مجموعة قروية، وعضوية الاتحاد تضم ٢١٠ مزارعاً. ولم يتمكنوا فقط من إجراء تدريب من مزارع الى مزارع في منطقة "دوانيرو"، بل نجحوا أيضاً في نشر المعرفة في ثلاث مناطق مجاورة.

وطبقاً لما ذكرته "أودوي"، فإن الهيئات الأخرى بدأت في ملاحظة مدى سعة حيلة مزارعي "دوانيرو"، ونمت لديها الرغبة في العمل بالتعاون معهم، وقالت: "الهيئات المتصلة بالمنتجات الزراعية الأخرى بدأت تدرك أن مزارعي دوانيرو الذين يعملون بمنهج الاتصال التنموي بالمشاركة يمكنهم تدريب المزارعين الآخرين لأنهم منظمون ولديهم المهارات المفيدة اللازمة للتدريب". وأضافت: "هناك الآن داخل اتحاد دوانيرو للمزارعين المتضامنين، منسقو برامج للمنتجات المختلفة، من نبات الفانيلا، والأرز، والقهوة، والحيوانات".

انضم العلماء الذين شاركوا في المشروع الأول إلى غيرهم من الباحثين في برنامج بحوث الموز القومي، في ثلاث مقاطعات أوغندية مركزية. ويقدمون تقنيات تستهدف إدارة مكافحة الآفات الزراعية، مثل نباتات الموز الجديدة المقاومة لآفات معينة، مع إدارة التربة والمياه بشكل مناسب.

تأثرت زراعات الموز في المقاطعات الثلاث كثيراً بمرض جديد يسمى "ذبول الموز البكتيري" أو BBW، والذي ينتشر بسهولة تامة ويمكن أن يتسبب في خسائر

تجاوزت الطاقة المتولدة عن العمل حدود المزارع، وفي هذا الصدد قال "توشيميريوي": "أشعر بالزخم الذي خلقه منهج الاتصال التنموي بالمشاركة، وأعرف أنه سيستمر لأنه طريقة مؤثرة وفعالة نحل بها مشكلاتنا". وأضاف: "الآن فإن كل مشروع تقريباً لدى برنامج بحوث الموز القومي يشتمل في عناصره على منهج الاتصال التنموي بالمشاركة، وحتى دون دعم "مركز البحوث للتنمية الدولية- كندا، فسوف نستمر في تنفيذ هذا المنهج".



تورا أودوي

الحد من إنتشار ذبول الموز البكتيري ذو أولوية للمزارعين.



الاتصال التنموي بالمشاركة في غرب إفريقيا

لا يعتبر تحفيز الاتصال بين الباحثين والريفيين فريداً من نوعه أو جديداً على أوغندا. فقد دعم "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا" عدة تطبيقات لمنهج "الاتصال التنموي بالمشاركة" في منطقة غرب إفريقيا من حزام الساحل. وتهدف تلك المشروعات إلى مكافحة التصحر، وتحسين خصوبة التربة في الأرض الزراعية التي تزرعها النساء، وحل الخلافات حول قضايا المياه في المناطق التي تندر فيها.

وفي حوض نهر "ناكاني" في بوركينافاسو، فإن مناهج إدارة موارد المياه كانت مركزية في العادة، ولا تسمح إلا بالنذر اليسير من مشاركة المحليين، الذين تؤثر عليهم هذه السياسة بشكل قوي. وعلى سبيل المثال، فإن البحث الميداني في حوض ذلك النهر كشف عن أن ٥٠٪ من الطلبات اليدوية والآبار الجديدة لا تعمل بسبب النقص في إشراك المجتمعات المحلية في تلك المشروعات.

واستعان الفريق البحثي المدعوم من "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا" بمنهج "الاتصال التنموي بالمشاركة" والذي شدد على الحوار بين الأطراف المعنية. وركز النشاط على بناء القدرة المحلية في أربعة مجالات: الإدارة والتنظيم، وصناعة القرار في إدارة الموارد المائية، وحل الخلافات، وإنشاء ومساندة لجان محلية لإدارة المياه. كما رفعت تلك الجهود من درجة ثقة أعضاء المجتمع في قدرتهم على التعرف على مشكلاتهم الخاصة والسعي وراء حلول لها.

وتبين من المشروع أن النساء من بين الأطراف المعنية الأساسية في قضايا المياه، وشهد زيادة في عدد النساء اللاتي يأخذن أدواراً في لجان إدارة المياه، لصالح دعم قوة صناعة القرار. كما كان لهذا البحث أثره على سياسة الدولة لأنه أثار على خطة بوركينافاسو القومية الخاصة بالمياه.

"الاتصال التنموي بالمشاركة" يهتم بالناس أولاً: خطة الخطوات العشر

تسير خطة "الاتصال التنموي بالمشاركة" على سلسلة من الخطوات الواضحة وهي:

١. إرساء العلاقة مع المجتمع المحلي وفهم الطبيعة المحلية.
٢. ربط المجتمع بالتعرف على المشكلة، وحلها المحتملة، والقرار المنفذ لمبادرة واضحة ثابتة.
٣. التعرف على الجماعات المتباينة والمتعددة داخل المجتمع، وغيرها من الأطراف المعنية بالتعرف إلى المشكلة أو الهدف والمبادرة.
٤. التعرف على احتياجات الاتصال، وأهدافه، وأنشطته.
٥. التعرف على أدوات الاتصال المناسبة.
٦. تحضير واختبار المحتوى ومواد الاتصال.
٧. تسهيل الشراكات.
٨. إعداد خطة للتنفيذ.
٩. مراقبة وتقييم خطة الاتصال، وتوثيق خطوات تطور المشروع أو العمل البحثي.
١٠. التخطيط لمشاركة الآخرين في التعرف على النتائج والانتفاع منها.

مأخوذ عن "إشراك المجتمع: دليل الاتصال التنموي بالمشاركة"، جي بيسيت، أوتاوا، مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا، ٢٠٠٤.

نورا أودوي

وركز النشاط على بناء القدرة المحلية في أربعة مجالات: الإدارة والتنظيم، وصناعة القرار في إدارة الموارد المائية، وحل الخلافات، وإنشاء ومساندة لجان محلية لإدارة المياه.



نورا أودوي

يقوم أعضاء المجتمع المحلي بتحديد المشكلة ويتفكرون على خطة عمل لحلها باستخدام منهج "الاتصال التنموي بالمشاركة".

لكن التوسع في استخدام منهج "الاتصال التنموي بالمشاركة" في أوغندا ومنطقة الساحل يوضح أن هذه الأداة البحثية والاتصالية تساعد بما لا يدع مجالاً للشك على تحسين حياة الريفيين على امتداد إفريقيا من شرقها إلى غربها.

أعد هذا الموجز باتريك كافاناغ على أساس إحدى دراسات الحالة من إعداد بلايث مكاي وجي بيست.

مبادرة "برنامج الفقر الريفي والبيئية" برنامج عالمي أطلقته مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا في عام ٢٠٠٥ لدعم البحوث التي تلبى احتياجات القرويين الفقراء الذين يعيشون في البيئات الضعيفة أو المتدهورة في أفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية ودول الكاريبي والشرق الأوسط. وتهدف هذه المبادرة إلى تعزيز المؤسسات والسياسات والممارسات التي تعزز الأمن الغذائي والمائي ودخل الأفراد.

ولمزيد من المعلومات انظر موقع:
www.idrc.ca/rpe

مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا هو إحدى المؤسسات الدولية الرائدة في إنتاج وتطبيق المعرفة الجديدة بغرض الارتقاء إلى مستوى التحديات الحالية للتنمية الدولية. ولقد عمل المركز عن كثب ولأكثر من ٢٥ عاما مع الباحثين من الدول النامية في سعيهم للوصول إلى الوسائل التي تؤدي إلى بناء مجتمعات أفضل صحة وأكثر عدالة وازدهارا.

مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا

برنامج الفقر الريفي والبيئية

P.O.Box. 8500

Ottawa, Ontario, Canada, K1G 3H9

هاتف: ٦١٦٣-٢٣٦-٦١٦٣+١

فاكس: ٧٧٤٩-٥٦٧-٦١٦٣+١

بريد إلكتروني: rpe@idrc.ca

استمرارية المشروع

في كل من أوغندا وبوركينا فاسو واجهت تلك المشروعات تحد واحد كبير، وهو كيف يمكن توفير القدرة على استمرار المشروعات حال توقف تمويل "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا"؟

في أوغندا يُرجح استمرار عمل فريق الموز البحثي بسبب الدعم الذي يلقاه من برنامج بحوث الموز القومي وهيئة البحوث الزراعية القومية الأوغندية. لكن في بوركينا فاسو فإن نصف مبادرات "الاتصال التنموي بالمشاركة" ركبت وخملت مع انتهاء فترة تمويل "مركز البحوث للتنمية الدولية - كندا"، ومع غياب دعم أية هيئة قومية للبحوث.